

الشباب المصري

وأحلام المستقبل

بين حقائق الحاضر

للاستاذ صلاح الدين الشريف المحامى

الشباب ! ...

آية لفظة حلوة الرنين أخاذة النغم ، تموج في قلوبنا موج السحر ، وتختلج لها أفئدتنا وجوارحنا اختلاجة الرجاء والفرح ، كلما عطفنا الحديث نحو الشباب ، أو مالت بالكهول عاطفة التصابي إلى أحاديث القاب ونفثات الوجدان . إنها حيا الشباب تلهبنا بسمار من قوى الحياة الدفاقة بالحياة والأمل ، فتبعثنا على أن نتنور طريقا للني والطموح والمجد ، موصولا بأفق وردى يفيض أبدا بالانفأول والعزم والحركة ، مشبعا أبدا بالعاطفة والحماسة والتجوى ، ذلك الأفق ، هو أفق الشباب .

فالشباب هو الحياة والاندفاع والوثبة ، هو القوى الخلاقة لأهداف الانسانية ومثل الحياة ، هو امرأة مجلوبة براقة تمكس للحاضر والمستقبل صور القلب القتي والغريزة المشبوبة ، وهو بعد الوسط الذهبي بين الحلم المسرف في خياله ، والواقع المدلل بوجوده وإيمانه .

عل أن الشباب في اندفاعه وتوثبه ليس يأمن عشرة السن ، وهو في فيض من حماسه اللاصقة بطبعه ، تتلوى عليه مسالك التجربة . وإذا كان يرنو حقا للحياة الراكضة المتطورة فما أجدره أن يكون رمزها الحمى المهنذب ، وفضيلتها المطبوعة على براءة الهوى والغرض . ولكن تكمل أوصافه هذه ، ويعتق غاية الحياة فيه ، لا مهرب له من أن يربأ بنفسه عن كبرياء الجحوش والدنعة ، فيجذر غرور المغالاة في كل ما يزينه له خياله الوثاب ، حتى لا يشوه عايه رسالته ، أو يرجع به القهقرى ليصدمه في إيمانه بنفسه وثقته بصوابه في كل ما ينتقده ويراه .

لا بد للشباب من أن يكون وثابا ، ولكن في وداعة وحكمة فيهدى وحرام عليه أن لا يجمل النهوض غايته ، ولكن في هدوء واستقرار فينجح ، وأقن به أن يكون حل مثالية محلقة تصوره مذهب ومبادئه ، ولكن في ثقة وإيمان فيفلح . أما اندفاع الاضطراب

والترق ، أما وثبة القلق والحيرة ، فهي ضلال لمدفه ، وطمس لمثله ، وبعثرة لقواه ،
وتشكيك لإيمانه في قيمتي الصبر والوقت .

والحق أن توفيق الشباب وتفاؤله واستقراره كما أن إخفاقه وحيرته وضلاله ، لا شك
راجع الى حالة بيئاته التي يتخلق فيها ويتكوّن ، الى حالة المنزل والمدرسة والمجتمع ، فكل
منها له توجيهه وأثره ، ولكل منها أسلوبه وطابعه ، وهو طابع تتكيف به الحياة التي يحياها
وتظهر به حالة مجتمعه وعصره مكشوفة عارية أمام عينيه .

أما المنزل ، فماذا أقول عن حالته عندنا ؟ أرضيننا تلك الوح المتفككة المستهترّة ،
التي تعبت بحرمته وهو خلية المجتمع ؟ أم لا يلج بنا الأسف عندما نفتقد رباط التضامن
الذي يجمع بين أفرادهم ويؤلف بين رب البيت وأبنائه ، فلا نجده ولا نرى له من أثر ؟ أو
نسبنا أن هذه البيئته هي معمل الإيجاد ومصنع الخلق ، هي التي تمد الدولة بأبنائها وحمايتها ،
وتهب الأمة نساءها ورجالها ؟

أصدقوني القول بربكم ! هل شتمت بين جمهور الآباء عندنا من يعرف الأبناء حق الحياة ،
الحياة الفرحة الفياضة بالأخاء والرد ، يتبادلون فيها أحمل مشاعر الأبوة والبنوة ، وهي بلمس
الحياة وإكسیر العمر . إنك لن تجد في هؤلاء الآباء غير أحد رجلين ، إما رجل غلب على طبيعته
التصنع المقنوع والتكلف المسرف في كل شيء ، فوضع حواجز انزكرو وفوارق السن حائلا
بينه وبين أبنائه ، فلا يرضى تفاهما معهم ولا يزن لهم رأيا ، ولكم باج في تكلفه وتصنعه ،
حتى ليصبح في واد غير واديهم وحياة غير حياتهم ، فيفقد البيت انسجامه ، وتتداول الحياة
فيه مركة صامتة مكبوتة ، بين حفاظ متصنع يبغى الكبت والضغط ، وتوشب فتى يريد
الفكاك من أسر الجمود والضغط ، وبهذا الوضع المعكوس وهذه العقلية المتكئة يفقد البيت
تآلفه وانسجامه ، ويفقد الآباء والأبناء مشاعر التماطف والتفاهم بينهم . ومن هنا تغش
تجارب التربية ، ومن هنا تتألف عناصر المساة التي تروع الأسرة ، وتتمثل لها في تمرد
الأبناء ، وإخفاقهم وضلال مسلكهم .

أما الصنف الثاني ، أما الطراز الآخر من الآباء ، فهو على نقيض الطريق الأول ، وله
طابع يغير ما طبع عليه مبالغة في اللين والضعف ، ماذا أقول ، بل في الاستخذاء الذي ينافي
حزم الرجولة والتراجع الذي يهدم معنى السيطرة . وأقصد بالسيطرة حق الهيمنة الذي للأب
على شؤون بيته صغيرها وكبيرها ، يصدر في ذلك عن إحساس بالمسؤولية وتقدير لخطورة
الدور الذي يمثله في الحياة ، فهي إذن سيطرة رشيدة حازمة لا تعرف في الأخذ بحقها طغيانا
ولا إسرافا .

لم يبق إذن غير حل وسط أو منزلة بين مرتزتين ، فلا إسراف في الضمط والقسوة ولا مبالغة في اللين والضعف .

وما أجهل أن يرى الأب في أبنائه أصدقاءه وخلانته ، يجرب معهم معاني الصداقة الحقة ، صداقة النصح والثقة والصراحة ، لاصداقة التكلف والمداع والتفريغ . صداقة التفاهم والاحترام والمحبة ، لاصداقة الرياء والتلويح والفرص . بهذه الصداقة التي يعتمد الأب الحكيم وأصرها مع أبنائه ، يتأزر معهم على تخليقهم وتوجيههم على إشعارهم معنى الرجولة رجولة المسئوليات والتضحيات وحمل الأعباء ، رجولة تنهم لنفسها حقها وللأسرة التي خلقتها حقها ، وللوطن منبهما جميعا ، حقه بل ضريته .

ولكن هذا الحلم ، بل هذه المعجزة ، كيف نحققها ونمهد لظهورها السبيل . سبلها هو الآباء ووسيلتها هي الآباء والمعين عليها هم الآباء . ثم يأتي بعدهم أساتذة معاهدهم العلمية ثم سياسيو الأمة وقادتها .

لا مفر للأب من أن يكون قدوة لابنه وأسوة ، عليه أن يصنع من نفسه النموذج الحى الكامل أو الشبيه الكامل ، عليه أن ينادى عن كل ما يهبط به في محضر من أولاده ، فالآباء هم الأهداف التي تتجه إليها أنظار الأبناء في مراحل تكويرهم الأولى ، وهذه الأراحل هي من البناء بمثابة الأساس ، وإذا رأيتم شبابا قد غلبت عليهم نزواتهم وضلوا عن سبيلهم ، فلا تسارعوا بصمب جام السخط والغضب عليهم وحدهم ، بل فتشوا عن حال الآباء وسياسة الآباء وعقلية الآباء ، تعرفوا السبب وبنة صمبكم العجب ، أنا لا أتصور أن رجلا يقضى كل أوقات الفراغ في مقهى عام أو في أى مكان آخر ، بعيدا عن بيئته وأسرته ، لا يعرف من حلمه وأوردهم أكثر مما يعرفه عن الأسرة ، أى والله أجنبي عنها ، كأن الأمر لا يعنيه هو بل يعنى شخصا غيره ، لا أفهم منه ولا من مثله أن يخرج للأمة رجلا أو يبنى للمجتمع أسرة ، إن أوقات هذه المقاهى لأحق بها بيته ، لأولى بها أبنائه ، وكم ينجلى أن أقول إن الغربي يعطينا في هذه الناحية أجهل الأمثال ، فلکم كونت أحاديث المدفأة وتلك المشاركات الجدانية والعقلية التي وجدت جوها النقي في حجرات الجلوس ، رجلا وأبطلا ساسوا الأمم وقادوا الجيوش أولئك رجال قدروا معنى الأسرة ، بل قدروا الأبوة قدرها ، ومثلوا بصدق دورها .

أما المدرسة عندنا ، فهي لا تنقل عن الأسرة أثرا في توجيه الشباب ، غير أن التوجيه السليم ما زال يوزعها ، إذ لا بد لها أن تكون قطعة نابضة من الحياة ، صورة مصغرة من المجتمع ، مصنعا مكتمل العدة ليهذب ما فات الأسرة أن تهذبه ، ويصلح من وجهة الفن ، ما فوق مقدور الآباء ذوى الثقافة المحدودة أن يصلحوه .

اننى لا أنكر أن برامج الدراسة في المدرسة والجامعة قد تهذبت كثيرا عن ذى قبل غير أنه يؤسفنى أن عناصر التربية الاستقلالية لم تتحقق في برامجها بعد . نحن لا نريد نسخا مكررة من كتب عندنا من أبناء الكثير ، لا نريد صوراً متلدة وآلات حاكية لا تعرف غير أن تتحرك بوحى من غيرها وضغط ممن يملكون السيطرة عليها ، بل نريد مع التوجيه الرشيد والثقة بالدم ، دربة عممية واسعة على فهم الحق والواجب . فلاب الثقافة الحقة هو الذى يفرس في النفس المثل ثم يعزز العقل الى أن يهتدى الى طريقة تحقيق المثل . وهنا يلعب التلقين وتلعب القدوة دورا لا يقل عن دور الاب في الاسرة .

يجب أن تتصرف قواعد التربية عندنا الى خلق هذه القدوة الماقنة ، بل هذه الأسوة الصادقة في أبحاثها المتحمسة في تأدية رسالتها ، لنهذى بها دولة الاخلاق والعلم ، ويؤسفنى أن أقول ، إن كلامنا ما زال في دور التكون عندنا ولكننا اذا حققنا هذا ، وسنحققه فسوف يكون لشبابنا من علمه وعمله ما يحقق لاوطن مكانه اللائق به في محيط الثقافة العاليه والتضامن العالمى .

إننى لو أجملت واجبات الشاب المصرى ، لحصرتها في ثلاثة ، أولا وجدانى محض شخصى ، وثانيا وثالثها اجتماعى .

فاما الواجب الوجدانى أو إن شئت المعنوى ، فهو أن يؤمن الشاب بمقدسات ومثل يهتدى بها الى معنى الحياة ، معنى الوجود في مجتمع . وأى قداسة أقدس من محبة الوطن بل أى حق أروع أو أجمل من حق الوطن على شيا به وأبنائه ، إن هذه الأمم التى تتصارع حولنا في معركة الحياة والموت وتضرب لنا أعلى الأمثال في بذلها وفدائها لأوطانها ، تتوحى إلينا كيف فهم أبنائها حق الوطن المفقدى الذى تقاضاه منهم مهجا ودماء في أوقات الحروب وعقولا وعزائم وأعمالا في أزمنة السلم ، ولن يقل شبابنا عن هؤلاء إيمانا بحق الوطن عليه في كلا الحرب والسلم . ولعل أجل خدمة يؤديها إليه أن يصدق في كل علم يحصله وفي كل عمل ياتيه وفي كل قول يأخذ الناس به ، فإن الأوطان بأخلاق وأعمال ولم تنعم الأوطان يوما على أوهام وأقوال .

أما الواجب الشخصى فهو أن يعرف بحق أن لبدنه عليه حقا . فلا يهدر قوى جسمه وعقله ، وليحذر تلك الزعة المريضة للنكسة المتوهمة ، التى تصور له فترة الشباب فترة للتعلة والاستباحة والموى الآثم والسدور في فتاء اللبانات . فلكم حطمت تلك الزعة من أجسام زاهرة ، ولكم أطفأت من عقول فتية ، ولكم أوقعت الشباب أسرى عادات مستتبجة وكنيته بقيود الرذائل والآثام ، فتحللت معنويته وتصاغرت طمحاته واستخذى لسلطان الشهوات .

إن واجبنا جميعاً أن نساعد الشباب على أن ينتج أقصى ما يمكن له إنتاجه ، بأن نسبل له الوصول إلى حالة جسمية كاملة . علينا أن نتخذ من الألعاب الرياضية دعامة من أرسخ الدعائم التي تتمر بها المدرسة في سبيل التربية الصادقة ، وأن نعنى بها ، لا كإداة ثانوية أو سبب للهو وتزجية أوقات الفراغ ، بل كغاية رئيسية ووسيلة . مثل اتصال التربية للحقة بأهدافها وأغراضها ، تلك التربية التي تعلم الشباب كيف يتحمل المصاعب ويتقبل صدمات الحياة ، دون تدمير أو شكوى ، ودون تراجع أو استرخاء .

ويبقى عليه الواجب الاجتماعي ، واجب المساهمة في تحصيل الخير للمجتمع وأفراد المجتمع فعلى الشاب أن يشعر بأن فرديته لا تغنيه ولا تجديه إذا انزوى عن الحياة وأثر الاعتزال ، فالعزلة مفزع الضعيف وملجأ الشخصية المريضة المتحائلة التي تمثل الشلل في جسم الحياة . عليه أن يساهم بقواه في شتى مناحي الحياة في أمته ، فيأخذ بيد التوجيهات الاجتماعية المتعددة ، من حرب للأمية ومقاومة للأمراض الجسمية والخلقية ، وتحطيم لأصنام البدع والضلالات . وفي هدى هذه الواجبات الثلاثة ، يعرف الشباب كيف يقضى أوقات فراغه . وأوقات الفراغ مشكلة المشاكل في تربية الشباب . . .

أما بعد ، فلتفكروا يا قادة الأمة ويا ولاة أمرها ويا آباء الأبناء ويا أساتذة الطلبة ، فكروا جميعاً في شباب مصر ، وتبينوا نجواتهم واستشعروا آلامهم ، وتساندوا جميعاً في رعاية الشباب ، ولتكونوا منه أساتذة مثقفين وجنوداً جاملين لخدمة الوطن .

صلاح الدين الشريف
الحامى

أقوال مأثورة

- لاعب ابنك سبعا ، وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه .
- النوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والوحدة خير من قرين السوء .